

تفسير الثعالبي

على هذا القول عام في جميع الأشياء وعلى القول بأنه القرآن خاص ويحشرون قالت فرقة من العلماء حشر البهائم بعثها واحتجوا بالأحاديث المضمنة أن الله تعالى يقتص للجماء من القرناء ومن قال إنما هي كناية عن العدل وليست بحقيقة فهو قول مردود ينحو إلى القول بالرموز ونحوها وقوله سبحانه والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم الآية كأنه قال وما من دابة ولا طائر ولا شيء إلا وفيه آية منصوبة دالة على وحدانية الله تعالى ولكن الذين كذبوا بآياتنا صم وبكم لا يتلقون ذلك ولا يقبلونه وظاهر الآية أنها تعم كل مكذب وقال النقاش نزلت في بنى عبد الدار قال ع ثم تنسحب على سواهم وقوله في الظلمات ينوب عن عمي وفي الظلمات أهول عبارة وأفصح وأوقع في النفس قال أبو حيان في الظلمات خبر مبتدأ محذوف أي هم في الظلمات أو صفة لبكم أي كائنون في الظلمات أو حال من الضمير المقدر في الخبر أي صالون في الظلمات انتهى وقوله سبحانه قل رأيتم ابتداء احتجاج على الكفار الجاعلين شركاء والمعنى رأيتم إذا خفتم عذاب الله أو خفتم هلاكاً أو خفتم الساعة أتدعون أصنامكم وتلجؤون إليها في كشف ذلك أن كنتم صادقين في قولكم أنها آلهة بل إنما تدعون الله الخالق الرازق فيكشف ما خفتموه أن شاء وتنسون أصنامكم أي تتركونهم فعبر عن الترك بأعظم وجوهه الذي هو مع الترك ذهول وإغفال فكيف يجعل إلهها من هذه حاله في الشدائد والأزمات وقوله سبحانه ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم في الكلام حذف تقديره فكذبوا فأخذناهم أي تابعنهم بالبأساء والآية والبأساء المصائب في الأموال والضراء في الأبدان هذا قول الأكثر وقيل قد يوضع كل واحد بدل الآخر والتضرع التذلل والاستكانة ومعنى الآية توعد الكفار وضرب المثل لهم ولولا تحضيض وهي التي تلي الفعل بمعنى